**سلسلة عرض وتقديم أعلام الدراسات القرآنية (1)**

آداب معلم القرآن ومتعلمه

# قراءة تربوية إسلامية في كتاب الإمام النووي

# ( التبيان في آداب حملة القرآن )


بقلم

**الدكتور خيرالدين خوجة ( الكوسوفي )**

**أستاذ الدراسات القرآنية المساعد**

**جامعة طيبة – المدينة المنورة**

**المملكة العربية السعودية**


2009


ⓒ **خيرالدين بافتي خوجه ، 1430هـ**



***فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر***

خوجه ، خيرالدين بافتي

آداب معلم القرآن ومتعلمه .... / خيرالدين بافتي خوجه - المدينة المنورة ، 1430هـ

20 ص ؛ 14×21 سم

ردمك : 978-603-00-2404-9
1- القرآن - مباحث عامة أ- العنوان
ديوي 229.1 1430/2576

رقم الإيداع : 1430/2576
ردمك : 978-603-00-2404-9

**الطبعة الأولى : رجب 1430هـ**

**حقوق الطبع محفوظة للمؤلف**

**مطابع الرشيد ☐ 920000789**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**مقدمة :**

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: ( **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ** ﴿٢٩﴾) [ فاطر:29]، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات و المرسلين، سيدنا ونبينا محمد ﷺ، القائل:**[ خيركم من تعلم القرآن و علمه]**، رواه الإمام البخاري، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، أولي النهى والإحسان، و من سار على هديهم واقتفى أثرهم بالإخلاص و الإيمان. وبعد:

فلقد اهتم أئمتنا من السلف الصالح رضوان الله عليهم بشأن القرآن الكريم، حفظًا وتعليمًا وتفسيرًا، كما أنهم اهتموا بذكر آداب طلبة العلم وحاملي القرآن اهتماماً كبيراً. فصنفوا في ذلك المصنفات، نذكر منها على سبيل المثال، الإمام العلامة أبو بكر محمد بن الحسين الآجري المتوفى سنة 360 هـ، فقد ألف كتاباً بعنوان: **(أخلاق حملة القرآن)**، و الإمام العلامة أبو زكريا بن شرف النووي المتوفى سنة 676 هـ أيضًا ألف كتاباً سماه: ( **التبيان في آداب حملة القرآن** )، والذي هو موضوع

دراستنا، وغير هؤلاء كثيرون لا يسمح المقام لسرد أسمائهم. ولقد استوقفني هذا الكتاب العظيم للإمام النووي كثيراً وكان له الأثر البالغ في نفسي و في تكوين فكري وشخصيتي. ولقد ساعد على نبوغ الإمام النووي في مجال التربية والتعليم، صحبته الطويلة للقرآن الكريم. يتضح ذلك بجلاء ووضوح لكل من طالع كتابه بإنعام وتدبر. وحول تأثير القرآن الكريم في فكر ونفوس قارئيه، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

**" لقد كان هذا الكتاب هو مصدر المعرفة والتربية والتوجيه والتكوين الوحيد لجيل من البشر فريد...جيل لم يتكرر بعد في تاريخ البشرية، لا من قبل ولا من بعد، جيل الصحابة الكرام الذين أحدثوا في تاريخ البشرية ذلك الحدث الهائل العميق الممتد، الذي لم يُدرَس حق دراسته حتى الآن...".**

ولقد كان فضل الله علينا عظيماً إذ اختارنا لحمل رسالته إلى الناس وتربية الأجيال في هذه البقعة المباركة، مدينة المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، فقد كان لزاماً علينا أن نُجلي بعض الحقائق والمعالم التربوية من تجربة ذلك الإمام الجليل من خلال كتابه المذكور آنفاً.

إن الآداب و المعالم التربوية المذكورة في ذلك الكتاب وإن كانت قد وضعت في الأصل للمعلمين والمتعلمين في مجال حفظ القرآن الكريم وتدريسه، إلا أنها يمكن أن تكون عامة وصالحة لكل العلوم

والتخصصات ولكل المعلمين و المتعلمين. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

إن كثيرًا من المعلمين وإن كانوا يحملون ألقاباً أكاديمية عليا، إلا أنهم في أعمالهم و وظائفهم التربوية، بعيدون كل البعد عن مراعاة تلك المثل والضوابط والمعالم الإنسانية، التربوية والدينية، والتي أشار إليها الإمام النووي في كتابه المذكور. فترى منهم العابس والمقطِّم، والضارب والمعنِّف، والشاتم والحاسد لتلاميذه وطلابه! وما كثرة الشكاوى الواردة من أولياء الأمور إلى المسئولين في وزارة التربية والتعليم في حق هؤلاء المربين عنا ببعيد. وإن الكتاب الذي بين أيدينا سيكون بإذن الله تعالى نبراساً يضيء لنا الطريق لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكوراً. لنعش مع بعض فقرات هذا الكتاب القيم. قال الإمام النووي رحمه الله:

" **في آداب معلم القرآن**...أول ما ينبغي للمقرئ والقارئ أن يقصدا بذلك رضا الله تعالى...عن الفضيل بن عياض رضي الله عنه قال: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما...و قال رسول الله ﷺ: من تعلم علمًا يبتغي به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة...". ثم تحدث الإمام النووي عن إخلاص المعلم للمتعلم، مبينًا بعض الهفوات التي يقع فيها كثير من المعلمين والأساتذة أو الشيوخ، و نحن نقتبس فقرات من كلامه، قال رحمه الله:

"...**إخلاص المعلم له:** وليحذر كل الحذر من قصده التكثر بكثرة المشتغلين عليه والمختلفين إليه، وليحذر من كراهته قراءة أصحابه على غيره ممن ينتفع به، وهذه مصيبة يبتلى بها بعض المعلمين الجاهلين، وهي دلالة بينة من صاحبها على سوء نيته وفساد طويته، بل هي حجة قاطعة على عدم إرادته بتعليمه وجه الله تعالى الكريم، فإنه لو أراد الله بتعليمه، لما كره ذلك...عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: يا حملة القرآن، أو قال يا حملة العلم اعملوا به فإنما العلم من عمل بما علم ووافق علمُه عملَه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، يخالف عملُهُم علمَهم وتخالف سريرتُهم علانيتَهم يجلسون حلقًا يباهي بعضهم بعضًا، حتى أن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره... أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى... ويستحب للمعلم أن يكون حريصًا على تعليمهم مؤثرًا ذلك على مصالح نفسه الدنيوية التي ليست بضرورية، وأن يُفرِغَ قلبَه في حال جلوسه لإقرائهم من الأسباب الشاغلة كلها، وهي كثيرة معروفة، وأن يكون حريصًا على تفهيمهم، وأن يعطي كلَّ إنسان منهم ما يليق به، فلا يكثر على من لا يحتمل الإكثار، ولا يقصر لمن يحتمل الزيادة، ويأخذهم بإعادة محفوظاتهم، ويثني على من ظهرت نجابته ما لم يَخشَ عليه فتنة بإعجاب...ومن قصّر، عنّفه تعنيفًا لطيفاً في ما لم يخش عليه تنفيره، ولا يحسد أحداً منه لبراعة تظهر منه... فإن الحسد للأجانب حرام شديد

التحريم، فكيف للمتعلم الذي هو بمنزلة الولد! ويعود من فضيلته إلى معلمه في الآخرة، الثواب الجزيل وفي الدنيا الثناء الجميل والله الموفق... وينبغي أن يظهر لهم البشر وطلاقة الوجه ويتفقد أحوالهم ويسأل عمن غاب منهم. قال العلماء رضي الله عنهم ولا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية... فقد قالوا طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله...".

## آداب معلم القرآن

و أما عن آداب المعلم و الأخلاق الكريمة التي يجب التقيد بها كما أنها يجب أن تتمثل في شخصية المعلم و الأستاذ فقد أشار الإمام النووي رحمه الله إلى أهمية ذلك قائلاً:

"...**مكارم الأخلاق:** وينبغي للمعلم أن يتخلق بالمحاسن التي ورد الشرع بها والخصال الحميدة والشيم المرضية التي أرشده الله إليها من الزهادة في الدنيا والتقلل منها... والسخاء والجود ومكارم الأخلاق وطلاقة الوجه، من غير خروج إلى حد الخلاعة، والحلم والصبر والتنزّه عن دنئ المكاسب، وملازمة الورع، والخشوع، والسكينة، والوقار، والتواضع، والخضوع، واجتناب الضحك، والإكثار من المزاح، وملازمة الوظائف الشرعية كالتنظيف والتقليم... كقص الشارب وتقليم الظفر وتسريح اللحية وإزالة الروائح الكريهة والملابس المكروهة.

وليحذر كل الحذر من الحسد، والرياء، والعجب، واحتقار غيره وإن كان دونه... وأن يراقب الله تعالى في سره وعلانيته ويحافظ على ذلك وأن يكون تعويله في جميع أموره على الله تعالى... وينبغي له أن يرفق بمن يقرأ عليه وأن يرحب به ويحسن إليه بحسب حاله...لحديث النبي ﷺ: قال إن الناس لكم تبع وإن رجالا يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرًا ...وينبغي أن يبذل لهم النصيحة... ومن النصيحة لله تعالى ولكتابه إكرام قارئه وطالبه وإرشاده إلى مصلحته والرفق به، ومساعدته على طلبه بما أمكن، وتأليف قلب الطالب وأن يكون سمحًا بتعليمه في رفق، متلطفًا به، ومحرضًا له على التعلم. وينبغي أن يذكره فضيلة ذلك ليكون سببًا في نشاطه وزيادة في رغبته... ويذكره فضيلة الاشتغال بالقرآن وسائر العلوم الشرعية وهو طريق العارفين وعباد الله الصالحين، وأن ذلك رتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام...وينبغي أن يشفق على الطالب ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح ولده ومصالح نفسه، ويُجري المتعلم مجرى ولده في الشفقة عليه والصبر على جفائه وسوء أدبه، ويعذره في قلة أدبه في بعض الأحيان، فإن الإنسان معرض للنقائص... وينبغي أن يحب له ما يحب لنفسه من الخير وأن يكره له ما يكره لنفسه من النقص مطلقًا...وينبغي أن لا يتعاظم على المتعلمين، بل يلين لهم ويتواضع معهم،فقد جاء في التواضع لآحاد الناس أشياء كثيرة معروفة فكيف بهؤلاء الذين هم بمنزلة أولاده

مع ما هم عليه من الاشتغال بالقرآن مع ما لهم عليه من حق الصحبة وترددهم إليه. وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه...".

ثم إن الإمام النووي لفت أنظارنا إلى مسألة مهمة في التعليم، ألا و هي مسألة التدرج في التعليم والحفظ، فقال رحمه الله:

"...**تأليف المتعلم:** وينبغي أن يؤدَّب المتعلم على التدريج بالآداب السنية، والشيم المرضية، ورياضة نفسه بالدقائق الخفية، ويعوده الصيانة في جميع أموره، الباطنة والجلية، ويحرضه بأقواله وأفعاله المتكررات على الإخلاص، والصدق، وحسن النيات، ومراقبة الله تعالى في جميع اللحظات، ويعرفه أن لذلك تتفتح عليه أنوار المعارف، وينشرح صدره، ويتفجر من قلبه ينابيع الحكم واللطائف، ويبارك له في علمه وحاله، ويوفق في أفعاله وأقواله...ومن آدابه المتأكدة وما يعتنى به: أن يصون يديه في حال الإقراء عن العبث، وعينيه عن تفريق نظرهما من غير حاجة، ويقعد على طهارة مستقبل القبلة، ويجلس بوقار، وتكون ثيابه بيضًا نظيفة... ويجلس متربعاً إن شاء أو غير متربع...وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يقرئ الناس في المسجد جاثيًا على ركبتيه...وينبغي أن يكون مجلسه واسعًا ليتمكن جلساؤه فيه. ففي الحديث عن النبي ﷺ:خير المجالس أوسعها... ومن أهم ما يؤمر به أن يحذر كل

الحذر من اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها. فقد جاء عن عبد الرحمن بن شبيل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اقرؤوا القرآن ولا تأكلوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه...وأما أخذ الأجرة على تعليم القرآن؛ فقد اختلف العلماء فيه. فحكى الإمام أبو سليمان الخطابي منع أخذ الأجرة عليه من جماعة من العلماء، منهم الزهري وأبو حنيفة. وعن جماعة؛ أنه يجوز إن لم يشترطه، وهو قول الحسن البصري والشعبي وابن سيرين. وذهب عطاء ومالك والشافعي وآخرون إلى جوازها إن شارطه واستأجره إجارة صحيحة..."

## آداب متعلم القرآن

و أما عن آداب المتعلم و الأخلاق الكريمة التي يجب التقيد و الالتزام بها، كما أنها يجب أن تتمثل في شخصية المتعلم و التلميذ فقد أشار الإمام النووي رحمه الله إلى أهمية ذلك قائلاً:

**و أما عن آداب المتعلم،** فيقول الإمام النووي رحمه الله تعالى :"... جميع ما ذكرناه من آداب المعلم في نفسه آداب للمتعلم، ومن آدابه أن يجتنب الأسباب الشاغلة عن التحصيل إلا سببًا لا بد منه للحاجة، وينبغي أن يطهر قلبه من الأدناس ليصلح لقبول القرآن وحفظه واستثماره. فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب. وقد أحسن القائل بقوله: يطيب القلب للعلم كما تطيب الأرض للزراعة. وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويتأدب معه، وإن كان أصغر منه سنًا وأقل شهرة ونسبًا وصلاحًا وغير ذلك. ويتواضع للعلم فبتواضعه يدركه... وينبغي أن ينقاد لمعلمه ويشاوره في أموره ويقبل قوله، كالمريض العاقل؛ يقبل قول الطبيب الناصح الحاذق...ولا يتعلم إلا ممن تكملت أهليته وظهرت ديانته وتحققت معرفته واشتهرت صيانته، فقد قال السلف: هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم. وعليه أن ينظر معلمه بعين الاحترام، ويعتقد كمال أهليته ورجحانه على طبقته، فإنه أقرب إلى انتفاعه به.

وكان بعض المتقدمين إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشئ، وقال اللهم استر عيب معلمي عني ولا تذهب بركة علمه مني. وقال الربيع صاحب الشافعي رحمهما الله: ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبة له. وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: من حق المعلم عليك أن تسلم على الناس عامة وتخصه دونهم بتحية، وأن تجلس أمامه ولا تشيرنّ عنده بيدك، ولا تغمزنّ بعينيك، ولا تقولنّ: قال فلان خلاف ما تقول، ولا تغتابنّ عنده أحداً ولا تشاور جليسك في مجلسه، ولا تأخذ بثوبه إذا قام، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تشبع من طول صحبته. وينبغي أن يتأدب بهذه الخصال التي أرشد إليها علي كرم الله وجهه، وأن يرد غيبة شيخه إن قدر، فإن تعذر عليه ردها، فارق ذلك المجلس...ويدخل – أي المتعلم - على الشيخ كامل الخصال متصفًا بما ذكرناه في المعلم، متطهرًا مستعملاً للسواك، فارغ القلب من الأمور الشاغلة، وأن لا يدخل بغير استئذان إذا كان الشيخ في مكان يحتاج فيه إلى استئذان، وأن يسلم على الحاضرين إذا دخل ويخصه دونهم بالتحية، وأن يسلم عليه وعليهم إذا انصرف... ولا يتخطى رقاب الناس، بل يجلس حيث ينتهي به المجلس إلا أن يأذن له الشيخ في التقدم أو يعلم من حالهم إيثار ذلك، ولا يقيم أحدًا من موضعه، فإن آثره غيره لم يقبل، اقتداءً بابن عمر رضي الله عنهما، إلا أن يكون في تقديمه مصلحة للحاضرين أو أمره الشيخ بذلك، ولا يجلس في وسط الحلقة إلا لضرورة، ولا يجلس

بين صاحبين بغير إذنهما، وإن فسحا له قعد وضم نفسه... وينبغي أيضاً أن يتأدب مع رفقته وحاضري مجلس الشيخ، فإن ذلك تأدبٌ مع الشيخ وصيانة لمجلسه، ويقعد بين يدي الشيخ قعدة المتعلمين لا قعدة المعلمين، ولا يرفع صوته رفعًا بليغًا من غير حاجة، ولا يضحك، ولا يكثر الكلام من غير حاجة، ولا يعبث بيده ولا بغيرها ولا يلتفت يمينًا ولا شمالاً من غير حاجة، بل يكون متوجهًا إلى الشيخ مصغيًا إلى كلامه... ومما يتأكد الاعتناء به أن لا يقرأ على الشيخ في حال شغل قلب الشيخ وملله... وأن يغتنم أوقات نشاطه. ومن آدابه أن يتحمل جفوة الشيخ وسوء خلقه، ولا يصده ذلك عن ملازمته واعتقاد كماله، ويتأول لأفعاله وأقواله التي ظاهرها الفسادُ، تأويلاتٍ صحيحة...وإن جفاه الشيخ ابتدأ هو بالاعتذار إلى الشيخ وأظهر أن الذنب له والعتب عليه فذلك أنفع له في الدنيا والآخرة وأنقى لقلب الشيخ. وقد قالوا من لم يصبر على ذل التعليم بقي عمره في عماية الجهالة. ومن صبر عليه آل أمره إلى عز الآخرة والدنيا. ومنه الأثر المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما ذللت طالباً فعززت مطلوباً. وقد أحسن من قال من لم يذق طعم المذلة ساعة قطع الزمان بأسره مذلولا...ومن آدابه المتأكدة أن يكون حريصًا على التعلم مواظبًا عليه في جميع الأوقات التي يتمكن منه فيها، ولا يقنع بالقليل مع تمكنه من الكثير، ولا يحمل نفسه ما لا يطيق مخافة من الملل وضياع ما حصل. وهذا يختلف باختلاف الناس والأحوال. وإذا جاء إلى مجلس

الشيخ فلم يجده انتظر ولازم بابه...وإذا وجد الشيخ نائمًا أو مشتغلاً بمهم، لم يستأذن عليه، بل يصبر إلى استيقاظه أو فراغه أو ينصرف. والصبر أولى كما كان ابن عباس رضي الله عنهما وغيره يفعلون. وينبغي أن يأخذ نفسه بالاجتهاد في التحصيل في وقت الفراغ والنشاط وقوة البدن ونباهة الخاطر وقلة الشاغلات، قبل عوارض البطالة وارتفاع المنزلة. فقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تفقهوا قبل أن تسودوا، معناه اجتهدوا في كمال أهليتكم وأنتم أتباع، قبل أن تصيروا سادة، فإنكم إذا صرتم سادة متبوعين، امتنعتم من التعلم لارتفاع منزلتكم وكثرة شغلكم. وهذا معنى قول الإمام الشافعي رضي الله عنه تفقه قبل أن ترأس، فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه. وينبغي أن يبكر بقراءته على الشيخ أول النهار...وينبغي أن لا يؤثر بنَوْبَتِه غيره، فإن الإيثار مكروه في القرب- أي القربات -، بخلاف الإيثار بحظوظ النفس فإنه محبوب. فإن رأى الشيخ المصلحة في الإيثار في بعض الأوقات لمعنى شرعي فأشار عليه بذلك، امتثل أمره. ومما يجب عليه ويتأكد الوصية به ألا يحسد أحدًا من رفقته أو غيرهم، على فضيلة رزقه الله إياها، وأن لا يعجب بنفسه بما خصه الله...وطريقه في نفي العجب؛ أن يذكر نفسه أنه لم يحصل ما حصله بحوله وقوته، وإنما هو فضل من الله... وطريقه في نفي الحسد؛ أن يعلم أن حكمة الله تعالى اقتضت جعل هذه الفضيلة في هذا، فينبغي أن لا يعترض عليها... ومن آدابه أن يكون على أكمل

الأحوال وأكرم الشمائل، وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه إجلالاً للقرآن، وأن يكون مصونًا عن دنئ الاكتساب، شريف النفس، مرتفعًا على الجبابرة والجفاة من أهل الدنيا، متواضعًا للصالحين وأهل الخير والمساكين، وأن يكون متخشعًا ذا سكينة ووقار...عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصحته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون..وعن الفضيل بن عياض قال ينبغي لحامل القرآن أن لا تكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم. وعنه أيضًا قال: حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو، تعظيمًا لحق القرآن... "

فرضي الله عن إمامنا وشيخنا وأستاذنا الإمام النووي رحمه الله، وجزاه عنا وعن الإسلام خير الجزاء وجعلنا الله من أمثاله، إنه سميع قريب مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

23 شعبان 1428هـ

الموافق

5.09.2007

المدينة النبوية المطهرة

E-mail:drhafezi68@gmail.com

www.drhafezi.weebly.com